
نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين"
و "سيرل" و دورها في البحث التداولي
الدكتورة:حكيمة بوقرومة
قسم اللغة والأدب العربي/كلية الآداب واللغات
جامعة المسيلة

الملخص:

إن الفعل الكلامي عنصر مهم في الكثير من الأعمال التداولية، و هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، يعتمد على أفعال قولية تسعى إلى تحقيق أغراض إنجازية و غايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي. وقد قام "أوستين" بتمييز صنف من الجمل ذات الصيغة الخبرية، ثم عرض دراسة أولية لهذه الجمل على محو هام للفلسفة و المنطق، و بعد ذلك وسع المفهوم الذي قدمه ليشمل جميع الجمل حتى تلك التي تقبل الصدق و الكذب، و بذلك يكون قد أنشأ فلسفة عامة للغة تجد تطبيقات هامة في اللسانيات. وقد تبنى "سيرل" اقتراحات "أوستين" مشددا على أن فعل القول لا يمكن تحقيقه من دون قوة إنجازية، و من جهة أخرى أجرى تعديلات على تصنيف "أوستين" للأفعال اللغوية، بالإضافة إلى الاهتمام الخاص الذي أعطاه للمعنى والمحتوى القضوي.

Résumé :

L'acte de langage est un élément important dans plusieurs affaires pragmatique, c'est un énoncé adopté sur un système vocalisé, sémantique, illocutionnaire, adopté sur des actes locutoires, qui cherche à réaliser des objectifs illocutoires et des objectifs perlocutoires qui concerne la réaction du récepteur.

Austin à distinguer un genre de phrase affirmative, il à montrer ensuite une étude préliminaire de ses phrases comme la philosophie et la logique importante, puis élargi le concept présenté pour englober toute les phrases

qui accepte la vérité et le mensonge, il à donc établi une philosophie générale pour la lante trouver des application importante en linguistique.

Searle à adopter des propositions de Austin soulignant que l'acte locutoire ne peut être atteint sans force illocutoire, et d'autre part il à acceptée des modifications à la classification de Austin, en plus de l'attention particulière accordée à la signification et le contenu propositionnel.

عندما يحاول الناس أن يعبروا عن أنفسهم، فإنهم لا ينشئون ألفاظا تحوي بُنى نحوية وكلمات فقط، وإنما ينجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ، فإذا كنت مثلا تعمل في مكان يكون للمدير فيه قدر كبير من السلطة، فقال لك: "أنت مطرود"، فإن قوله يفوق الجملة الخبرية، فقد يستعمل اللفظ لإنجاز فعل إنهاء توظيفك، ومع ذلك لا يتوجب على الأفعال المنجزة عبر الألفاظ أن تكون دائما دراماتيكية وبغيضة كما في المثال السابق، وإنما يمكن للفعل أن يكون رقيقا كما في الأمثلة التالية:

أ- أنت رائع بالفعل.

ب- على الرحب والسعة.

ج- أنت مجنون.

فالمثال (أ) هو إطراء منجز، والمثال (ب) هو إشعار باستلام الشكر، والمثال (ج) هو تعبير عن الدهشة ⁽¹⁾، فالأفعال المنجزة من خلال الألفاظ تعرف عموما بأفعال الكلام (Speech acts)، وتعطى في الإنجليزية والعربية غالبا أوصافا أكثر تحديدا، مثل الاعتذار، الشكوى، الإطراء، الدعاء، الوعد أو الطلب...وتتطبق هذه المصطلحات الوصفية لأنواع الكلام المختلفة على نية (قصد) المتكلم التواصلية في إنشاء اللفظ، حيث يتوقع المتكلم عادة أن يتعرف المستمع على نيته التواصلية، وتساعد الظروف المحيطة باللفظ أحيانا كلا من المتكلم والمستمع في هذه العملية، وتسمى هذه الظروف بمقام الكلام (Speech event)، وفي الكثير من الأحيان تحدد طبيعة مقام الكلام تفسير اللفظ على أنه إنجاز لفعل كلامي معين، فمثلا في يوم شتائي، يمسك المتكلم كوبا من الشاي معتقدا أنه معدّ للتو، يأخذ رشفة وينشئ اللفظ:

هذا الشاي بارد جدا"، فمن المرجح أن يفسر لفظه على أنه تذمر، ولكن عند تغيير الظروف إلى يوم صيفي حار جدا، حيث يقدم المستمع للمتكلم كوبا من الشاي المتلج باردا جدا، عندها سيفسر على أنه إطراء، إذ أمكن تفسير ذات اللفظ على نوعين مختلفين من فعل الكلام، مما يعني استحالة إيجاد توافق بسيط للفظ واحد مع فعل واحد، ويعني هذا كذلك أن ما يعزى إلى تفسير فعل الكلام يفوق ما يوجد في اللفظ بمفرده (2).

لقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواه مركزية، في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قوليه إلى تحقيق أغراض إنجازيه، كالطلب والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، كالرفض والقبول، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى التأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسسانيا، ومن ثم إنجاز شيء ما (3).

لقد عكف المناطقه والفلاسفة منذ أيام اليونان على دراسة القضايا كمقدمة لدراسة المنطق، وكمدخل لدراسة القضايا تعرضت كتب المنطق الكلاسيكية منذ أرسطو لأقسام الكلام، فميزت الصيغة الخبرية عن صيغ التمني والأمر وغيرها، ثم حصرت بالصيغة الخبرية، وهي التعبير اللفظي عن القضية، خاصية قبول الصدق والكذب، جاعلة للخبر ميزة كونه موضوعا للدراسة المنطقية في مقابل الصيغ الأخرى التي ألحقها "أرسطو" بعلم البلاغة (4).

وفي العصر الحديث، وتحديدًا عند "كانط" (Kant) وقعت الصيغة الخبرية تحت طائلة نقد مؤداه أن هناك جملا لها هذه الصيغة، لكنها لا تقبل الصدق والكذب، وبالتالي فهي تخرج عن مجال المنطق والفلسفة، وانطلاقا من نقد "كانط" ظهر الاتجاه المنطقي الوضعي في القرن العشرين الذي أكد على إخراج جزء كبير من الجمل ذات الصيغ الخبرية من مجموعة الجمل التي تقبل الصدق والكذب، بل من مجموعة الجمل ذات المعنى (5).

وقد قام "أوستين" (*) بتمييز صنف من الجمل ذات الصيغة الخبرية على غير ما ميزه "كانط" والوضعيون مما لا يقبل الصدق والكذب، ثم عرض دراسة أولية لهذه الجمل على نحو هام للفلسفة والمنطق، وهي دراسة ما زال يتابعها تلاميذه وآخرون، وفي المرحلة الأخيرة من بحثه توسع المفهوم الذي قدمه ليشمل جميع الجمل حتى تلك التي تقبل الصدق والكذب منها، فأنتج بذلك فلسفة عامة للغة تجد تطبيقات هامة في اللسانيات (6).

١- "أوستين" واضع أسس نظرية الأفعال الكلامية:

إن اللغة حسب "أوستين" ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وعليه فموضوع البحث يتمحور بالأساس حول ما نفعله بالتعبير التي ننطق بها (أفعال الكلام)، وبهذا يكون "أوستين" قد قدم بنظرية بسط القول عبر جملة محاضرات ومقالات ضمنها نظريته بخصوص "الأفعال اللغوية" التي خرجت تحت عنوان واحد بعد وفاة صاحبها هو "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" How to do things with word والذي ترجم إلى الفرنسية عام 1970 (7).

وبالرجوع إلى هذا الكتاب، يتبين لنا أن "أوستين" قام بتوظيف اللغة الطبيعية (ordinary language)، فأشار إلى أن أي لغة من اللغات في عصر الإعلاميات لم تبق لغة طبيعية، وإنما أصبحت لغة تقنية يجب التعامل معها بهذا المنظور، ومعنى كونها لغة تقنية أنها صارت اصطناعية تتحكم فيها آليات التخاطب والتواصل المعاصرة، ولا يمكن أن نبرر ظهور نظرية أفعال الكلام ونظرية الأفعال الإنجازية إلا في ضوء عجز البلاغة القديمة والنحو القديم عن مسايرة سيادة عصر تكنولوجيا المعلوماتية، وغزو الفضاء الثقافي المحلي بواسطة هذه التقنية المفروضة، فلم يعد مطلوباً إلينا أن نتلقى الخطاب كما صاغه غيرنا، وإنما نحلله، وقد اعتقد أن أفعال الكلام والتداولية بوجه عام أصبحت قدراً محتوماً لأي لغة محلية ووطنية حتى تفهم وتتواصل مع ما يهدد كيائها (8).

وفي توظيفه للغة الطبيعية، عارض "أوستين" موقفين هما: (9)

(1) - الموقف الفلسفي التقليدي، والذي يقرّ بأن دور الجمل ينحصر فقط في وصف حالة الأشياء، أو إقرار حدث ما، وتكون بموجبه صادقة أو كاذبة، أي أن الجمل تقوم وفق معيار الصدق والكذب، أما غيرها من الجمل، فتعدّ من قبيل العبارات التي لا معنى لها، غير أن ما تجدر الإشارة إليه في هذا الإطار، أنه ليس جميع الجمل تقريرات (Affirmation)، ولا تصلح بالضرورة أيضا لأن تكون كذلك، فإلى جانب التقريرات هناك جمل التعجب والاستفهام والأمر والنهي وغيرها، وكثيرا ما تم التعامل مع هذه الجمل على نحو يجعلها عبارة عن لا معنى (Non sens).

(2) - الوصف النحوي التقليدي، الذي لا يقتصر على نمط واحد من الجمل، بل يهدف إلى التنوع في الموضوع، فيصف أنماطا أربعة من الجمل، وهي الجمل المثبتة أو الخبرية، والجمل الاستفهامية، وجمل التعجب، والجمل التي تفيد الطلب والتمني. بهذا التحديد نكون قد انطلقنا من "نظرية أفعال الكلام" "Speech acts theory" التي وضع أسسها "أوستين" (J.Austin)، والتي تم إغناؤها بأبحاث أخرى فلسفية ولسانية ومنطقية، انطلقت من مفهوم الإنجاز، حيث سيعمد "سيرل" (J.Searle) إلى تثبيتها ليووسعها باحثون آخرون، خاصة "غرايس" (P.Grice).

إن نظرية "أفعال الكلام" تؤكد على أن العبارات اللغوية لا تتقل مضامين مجردة ونمطية، وإنما تختلف حسب عدة عوامل، منها السياق، بالإضافة إلى ظروف وعوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته.

لقد بدأ "أوستين" بدراسة "الملفوظات الإنجازية" أولا، ثم عمل على توسيع مجالها لتشمل "الملفوظات التقريرية" بعدما تبين له أنها تشكل بدورها "ملفوظات إنجازية"، ومن ثم توصل إلى أنه لا فرق بين الإنجاز والتقرير، و قد فرّق بين "الملفوظات الإنجازية الابتدائية" و"الملفوظات الإنجازية التصريحية"، على اعتبار أن الأولى لا يتم فيها التصريح بالفعل المنجز، كقولنا: "السعادة مطلب"، أما الثانية (التصريحية أو الظاهرة)، فهي التي يصرح فيها بالفعل المنجز، مثل: "أزعم، أقرّر، أدعي"، وضمن المنحى نفسه ميز بين الجمل والاستعمالات الإنجازية، استنادا إلى مفهوم التصريح،

فتوصل إلى بناء نظرية تهم "القوة الإنجازية" وترتبط بالنظرية العامة لأفعال الكلام (10)

لقد رسخ "أوستين" في المرحلة الأولى من تفكيره ثنائية: "الوصف/الإنجاز"، فحدد "الجمل الوصفية" بأنها تلك التي تصف حدثًا ما أو حالة معينة دون "فعل"، أي أن هذه الجمل لا يتجاوز القول فيها إلى الفعل، أما "الجمل الإنجازية" فهي جمل تنجز قولًا وفعلًا في الوقت نفسه (11)، وقد ميز بين النوعين من الجمل عن طريق وضع مجموعة من المعايير منها ما هو مقامي، ومنها ما هو مقالي:

(1) - تنصبّ المعايير المقالية على الجانب الشكلي للخطاب، ويتحتم الاستجابة لها حتى تكون الجملة من قبيل الإنجاز:

- يجب أن تكون الجملة مشتملة على فعل من النوع الإنجازي: أمر، نهي، ...
- يجب أن يكون زمن الفعل زمن التكلم (الزمن الحاضر).
- يشترط في الجملة أن تكون مبنية للفاعل.
- يجب أن يكون قائل الجملة المتكلم المفرد (12).

(2) - أما المعايير المقامية، فيمكن تقسيمها إلى قسمين هما:

(أ) - ثنائية "صدق/كذب" في مقابل "نجاح/فشل": حيث يؤكد "أوستين" على أن معيار (صدق/كذب) يشمل الجمل الوصفية فقط، فهي صادقة إن كانت المطابقة حاصلة بينها وبين ما تصفه، وكاذبة إن كانت غير ذلك، مثل:

- الشمس طالعة.

- هذا كتاب "الحيوان" للجاحظ.

فالجملة الأولى تكون صادقة إذا كانت (الشمس) في الواقع والخارج طالعة، وإن لم تكن كذلك سمي الكلام كذبًا، ونفس الشيء بالنسبة للجملة الثانية، أما الجمل الإنجازية فإنها تخضع لمعيار (نجاح/فشل)، ومن هنا نميز نوعين من الجمل:

- الجمل الإنجازية ذات القيد القوي.

- الجمل الإنجازية ذات القيد الضعيف.

فالأولى تخضع في إنجازها لعادات ثقافية محددة، مثل: "أنت طالق"، فلكي تكون الجملة ناجحة، يجب أن يكون المتلفظ بها هو الزوج، وأن يكون ذلك أمام شاهدين (13).

أما النوع الثاني من الجمل الإنجازية، فإنه لا يخضع لقيود ثقافية معينة، مثل:

- أوصي بما أملك من مالي لابني الأكبر.

فهذه الجملة لكي تكون "ناجحة" يكفي أن يكون مفهوم الوصية متعارفا عليه داخل الجماعة اللغوية. (14)

ب)- في ثنائية: " قول/إنجاز": يميز "أوستين" بين الجمل الوصفية و"الجمل الإنجازية"، مبينا أن الأولى (قول) والثانية (قول وإنجاز) في الوقت نفسه، فالناطق بالجملة الوصفية يقول قولاً لا غير، أما الناطق بالجملة الإنجازية فينتج " قولاً وفعلًا " في الوقت نفسه، وعليه لا يمكن الفصل في الجمل الإنجازية بين قول الفعل وإنجازه، وقد حدد "أوستين" جملة من الشروط المقامية التي ينبغي مراعاتها لضمان نجاح الفعل، وهي: (15)

- يجب أن تكون هناك مؤسسة متعارف عليها، وأشخاص مشاركون في عملية التواصل اللغوي، داخل سياقات معينة.

- يتعين أن تكون الظروف ملائمة، والمشاركون مقبلين على ما تعودوا عليه، لكي يتم إنجاز ما تنص عليه تلك المؤسسة.

- يجب أن يتم إنجاز الفعل من قبل جميع المشاركين بصورة صحيحة.

- يتعين أن تتوفر للمشاركين نية إنجاز الفعل، وقد انتهى "أوستين" أخيراً إلى التخلص من ثنائية: " وصف/إنجاز" التي لم تعد قائمة، بل أدرج جميع الجمل اللغوية في إطار وصف وتنظير عام، شكل ما سمي بنظرية "أفعال الكلام"، ومن ثم انتقل إلى محطة أخرى، وهي التركيز بشكل دقيق على المقصود من القول، فحين نتكلم بكلام ما، فإننا ننجز فعلاً معيناً (16)، ومن هنا فإن المتلفظ بأية جملة تنتمي إلى لغة طبيعية معينة، يقوم بأصناف ثلاثة من الأفعال اللغوية. (17)

(1) - الفعل التعبيري (Acte locutoire): أو إنشاء تعبير لغوي ذي معنى، والذي يعتبر فعل التلفظ الأساس، فإذا كنت تعاني من صعوبة في تكوين الأصوات والكلمات لإيجاد لفظ مفيد في لغة ما، لكونها لغة أجنبية أو لأنك معقود اللسان، فمن المرجح أن لا يكون بمقدورك إنشاء فعل تعبيري .

(2) - الفعل الوظيفي (Acte illocutoire)، حيث لا تقوم عادة بإنشاء ألفاظ صحيحة البنية دون غاية، فنحن نصوغ لفظا ليؤدي وظيفة نريد إتمامها، فالفعل الوظيفي ينجز عبر قوة اللفظ التواصلية.

(3) - الفعل التأثيري (Acte perlocutoire): فنحن لا ننشئ لفظا ذا وظيفة معينة دون أن نقصد أن يكون له تأثير معين، فالمستمع سيتعرف على التأثير الذي يقصده المتكلم لتعليل أمر ما.

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية، ميز "أوستين" بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية وقد قدمها باعتبارها مبدئية وقابلة للنقاش بصفة مؤقتة، وهي كما يلي: (18)

(1) - الأفعال الحكمية (الإقرارية) Verdictifs: وتقوم على الإعلان عن حكم، تتعلق بقيمة أو حدث، مثل: وعد، و وصف، و قول، و طبع...

(2) - الأفعال التمرسية (الإنفاذيات) Exersitifs: وتقوم على إصدار قرار لصالح، أو صد سلسلة أفعال، مثل: أمر، قاد، دافع عن، ترحى، طلب، تأسف، نصح،...

(3) - أفعال التكليف (الوعديات) Commissifs: ويلزم فيها المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثل: وعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم،...

(4) - الأفعال العرضية (التعبيرية)، وتستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات، ضبط مراجع، مثل: أكد، أنكر، أجاب، اعترض،...

(5) - أفعال السلوكيات (الإخباريات) comportementaux: ويتعلق الأمر هنا برد فعل تجاه سلوك الآخرين، وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، تعبيره تجاه السلوك، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنئة، الترحيب، النقد، التعزية، المباركة، اللعنة،...

وعلى العموم، فإن ما طرحه "أوستين" بخصوص أفعال الكلام، فتح نقاشا واسعا انخرطت فيه ثلّة من الباحثين، أمثال: "سيرل"، "غرايس"، و"فان إيمرن" (van Imiron) وغيرهم، مما عمّق نظرية "أوستين" وجعلها أكثر اتساعا واستيعابا لجملّة من القضايا المرتبطة بتداوليات أفعال الكلام، وخاصة مفهوم القصدية، القائمة على أسس تداولية تم التوسع فيها بتفريعها وتعميقها من قبل التداوليين، حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة، فقد غدت قيمة تداولية نصية /حوارية، وتعد مراعاة مفهومها العام وشبكاتها المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية. ويتأكد الربط بين العبارة اللغوية ومراعاة مقاصد المتكلمين من خلال أعمال الفيلسوف "سيرل" الذي عمل على متابعة المشروع الفلسفي الذي بدأه أستاذه "أوستين"، فقد عدّ الغرض في القول (But illocutoire) عنصرا ومكونا أساسيا من مكونات القوة المتضمنة في القول (Force illocutoire).⁽¹⁹⁾

(II) - إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام من قبل "سيرل":

لقد صدر كتاب "سيرل" (***) (الأفعال اللغوية) (Speech acts) عام 1969م بالإنجليزية، وترجم إلى الفرنسية سنة 1972م، فقد تبنى بشكل من الأشكال اقتراحات "أوستين" مشددا على أن "فعل القول" لا يمكن تحقيقه من دون قوة إنجازية، كما أجرى تعديلات على تصنيف "أوستين" للأفعال اللغوية، فضلا عن الاهتمام الخاص الذي أعطاه للمعنى والمحتوى اللغوي.

إن دراسة وتصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية كان بفضل ما أوتيّه من جهاز مفاهيمي ثري، أكثر دقة وعمقا مما ورثه عن سلفه "ج.ل. أوستين" الذي يعود إليه فضل اكتشاف الظاهرة وعزلها وتحديد إطارها العام كظاهرة خطابية عامة. وسوف نتعرض إلى أهم الأفكار التي بسطها "سيرل" بخصوص هذا الأمر، والمتمثلة فيما يلي: ⁽²⁰⁾

(1)- ارتباط اللغة بالأفعال اللسانية، ذلك أن التكلم بلغة ما يعني تحقيق أفعال لغوية ممكنة في ظلّ قواعد تعمل على استخدام العناصر اللغوية، وطبقا لهذه القواعد تتحقق الأفعال اللغوية.

(2)- قاعدة التواصل اللغوي مبنية على الفعل اللغوي، فكل تواصل لغوي، لا يبنني على الرمز، أو على اللفظ، أو على الجملة، وليس هو تواتر هذه العناصر، بل التواصل أداء للرمز واللفظ والجملة، أو بثها (Emission) لحظة تحقيق فعل لغوي معين.

(3)- ارتباط نظرية اللغة بنظرية الفعل، ذلك أن اللغة جزء من نظرية الفعل (Théorie de l'action)، لأن التحدث عبارة عن سلوك خاضع للقواعد، وبالتالي يمتلك سمات صورية (Trait formels) خاصة تتعلق بدراسة مستقلة.

(4)- ارتباط نظرية أفعال اللغة بنظرية المجال الدلالي، إذ لا يمكن التسليم بوجود دراستين دلاليتين مختلفتين، إحداهما تدرس الجمل ودلالاتها، والثانية تدرس إنتاج أفعال اللغة، وعليه فإن فعل اللغة عبارة عن تابع (Fonction) لدلالة الجملة المعينة، فلا تسمح دلالة جملة ما بأي فصل لغوي محقق، داخل تلفظ هذه الجملة لأن المتكلم قد يريد قول شيء آخر لم يقله بالفعل، ومع ذلك يمكن له مبدئيا أن يقول ما ينوي إبلاغه.

(5)- عدم استقلال معنى الجمل دلاليا عن معنى أفعال اللغة تداوليا، فدراسة الجمل لا تتميز مبدئيا عن دراسة أفعال اللغة، وإذا أدركنا هذا الأمر فإن الدراسة تبقى واحدة، وبما أن كل جملة تحمل معنى محددا، فإنه لا يمكن أن تستعمل بدلالاتها نفسها لإنجاز سلسلة من الأفعال اللغوية الخاصة، ولهذا فإن دراسة دلالة الجمل، ودراسة أفعال اللغة لا يشكلان مجالين مستقلين، بل مجالا واحدا.

ومن هنا يتضح أن ما اقترحه "سيرل" يرمي إلى تدعيم البعد التواصلية وتطويره، على اعتبار أن التحدث بلغة، ما هو إلا القيام بأفعال لغوية محددة، ومن هنا عمد

إلى تحديد مفهوم الفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام، ضمن صياغة جديدة لما اقترحه "أوستين".

وإذا كان "سيرل" قد عمق ما تركه "أوستين"، فإن مركز اهتمامه كان "أفعال اللغة غير المباشرة"، بهدف بناء النظرية وتنسيقها، مع تحديد شروط ومقومات الفعل الكلامي، وتلك المحددة لمفهوم النجاح المسماة بشروط الاستعمال، وقد حدد الشروط التي يجب أن تحققها أفعال الكلام لتضمن الإنجاز الموفق وهي: (21)

(1)- شرط مضمون القضية: ووظيفته وصف مضمون الفعل، هل هو مجرد قضية بسيطة أو دالة قضوية أو فعل للمتكلم،...

(2)- الشروط التمهيديّة: والتي تتصل بقدرات واعتقادات المتكلم، ومقاصد المستمع، بالإضافة إلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما.

(3)- شروط الصدق: وتحدد الحالة النفسية للمتكلم أثناء إنجاز الفعل، بحيث ينبغي أن يكون جاداً في ذلك.

(4)- الشروط الجوهرية: وترصد الغرض التواصلّي من فعل الكلام، والذي يلزم المتكلم بواجبات معينة، فعليه أن ينسجم في سلوكاته مع ما يفرضه عليه ذلك الفعل. وعلى الرغم من أنها تعد شروطاً لتحقيق الأغراض الكلامية، فمعظمها لا تتحقق إلا عبر استحضار عوامل أخرى تداولية توفر إمكان القيام بأغراض كلامية بشكل سليم، مما يستوجب تجنب مختلف المعوقات المادية والمعنوية التي من شأنها أن تحول دون قيام حوار سليم (22).

إن الفضل يعود إلى "سيرل" في شرح فكرة "أوستين" السابقة، بتقديم شروط إنجاز كل فعل، مع بيانه وشروط تحول فعل من حال إلى حال، وآليات ذلك، مع توضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود.

ومثال ذلك: قول شخص في المكتب: "تركت الباب مفتوحاً"، لمن يدخل عليه، فهذا القول يخضع لجملة من الخطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازه، منها (23):
- إن الضحيح في الرواق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحاً، فهو يأمرني بإغلاقه.

- المكتب مكيف، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ، فهو يطلب مني بشكل ما إغلاقه.
- من الأدب أن تغلق الباب كما وجدته مغلقا حال دخولك، فهو يعاتبني على سوء سلوكي.

ومما قدمه "سيرل" كذلك إعادة تقسيم الأفعال الكلامية التي اقترحتها "أوستين"،
مميزا في ذلك بين أربعة أقسام وهي: (24)

1- الفعل التلفظي (Acte d'énonciation)، والمقصود به عملية أداء الكلام
والتأليف بين مكوناته.

2- الفعل القضوي (Acte propositionnel)، وهو معادل للفعل
الدلالي عند "أوستين"، على اعتبار أن ما كان يعرف بالفعل الدلالي، وكان
يشمل عنصري المعنى والإحالة، أصبح عند "سيرل" يشكل فعلا مستقلا،
يسمى الفعل القضوي، ويتضمن فعلي الإحالة والجمل.

3- الفعل التأثيري (Acte perlocutionnaire)، ويتعلق بالنتائج التي يحدثها
الفعل الإنجازي بالنسبة للمخاطب فإذا سقتُ حجة يمكن أن أقنع المتلقي، وإذا أنذرتُه
يمكن أن أخيفه،...

4- الفعل الإنجازي (Acte illocutionnaire)، كالاستفهام، والأمر، والنهي،
والوعد،... وملاحظة هامة أن الفعلين التأثيري والإنجازي، لا اختلاف بشأنهما بين
"أوستين" و"سيرل".

وسرعان ما أعاد "سيرل" اقتراح خمسة أصناف من الأفعال الكلامية، وهي: (25)

1- الأخبار (Assersifs)، تبلغ خبرا، وهي تمثيل للواقع، وتسمى أيضا
بالتأكيدات، أو الأفعال الحكيمة.

2- الأوامر (Directifs)، وهي تحمل المخاطب على فعل معين.

3- الالتزامية (commissifs)، وتسمى أيضا بأفعال التعهد، وهي نفسها أفعال
التكليف عند "أوستين"، حيث يلتزم المتكلم بفعل شيء معين.

4- التصريحات (Expressifs)، وهي الأفعال التمرسية عند "أوستين"، وتعبّر عن حالة، مع شروط صدقها.

5- الإنجازيات أو الإدلاءات (Déclarations)، وتكون حين التلفظ ذاته. وقد وضع "سيرل" اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، وتتمثل فيما يلي: (26)

1- اختلافات بالنسبة لغاية الفعل، وهي تجيب عن سؤال " ما هي الوجهة؟"، فالوجهة أو غاية نظام ما هي الحصول على عمل شيء من طرف المخاطب.

2- اختلافات في توجيه الترتيب بين الكلمات والأشياء، وتقوم بترتيب الكلمات حتى تلائم الواقع، أو بالضبط لملائمة المضمون القضوي للواقع.

3- اختلافات تمس الحالات السيكلوجية المعبر عنها، حيث يعبر المتكلم بكل فعل إنجاز يمتلك مضمونا قضويا، عن موقف تجاه هذا المضمون القضوي، سواء كان مخلصا أم لا.

4- الاختلافات في حدة الاستثمار أو الالتزام المعبر عنه في تقديم وجهة الإنجاز.

5- اختلاف مقياس أو وضعية المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل.

6- الاختلافات في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع، فالاختلاف بين التبجح و النحيب من جهة، و التهنة والتعزية من جهة أخرى، يجعل الأولى تمس مصالح المتكلم والثانية تمس مصالح المستمع.

7- اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطاب.

8- اختلافات المضمون القضوي التي تحددها علامات أو طرق تشير إلى القوة الإنجازية، إذ يقوم الاختلاف بين الحكي والعرض من جهة، والتنبؤ من جهة أخرى في توجه التنبؤ إلى المستقبل، بينما يتجه العرض إلى الماضي، أو الحاضر.

9- اختلافات بين الأفعال، كأفعال لغة دائمة، وبين تلك التي تتجز كأفعال لغة دون خضوع لما هو مطلوب.

10- الاختلافات بين الأفعال التي تتطلب مؤسسات خارج لسانية في إنجازها وبين تلك التي لا تتطلب ذلك .

11- الاختلافات بين الأفعال، أو الأفعال الإنجازية المطابقة لإنجاز ما، أو غير المتوفرة على ذلك.

12- اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي، و هذه الشروط سماها "سيرل" شروط النجاح، وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة عند "غرايس"، كما وسع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم إلى العرف الاجتماعي اللغوي، وجعل القوة الإنجازية أدلة عليها (تقديم، تأخير، نبر، تنعيم، علامات ترقيم،...).

يميز "سيرل" بين الدلالة المقامية والدلالة المقالية، فالأولى ثابتة، في حين أن الثانية متغيرة تابعة لتغير مقامات القول، ومعنى هذا أن المعنى الحرفي - في نظر سيرل- معنى وارد أثناء عملية الوصف اللغوي، لذلك عدّ أقرب الفلاسفة اللغويين إلى "تشومسكي" (Chomsky)، لأنه يعرف بوجود دلالة لاصقة بالجملة.

وخلاصة القول، إن العمل الذي أنجزه "أوستين" هو عمل ذا فائدة لسانية هامة، كونه نجح في بلورة فكرة مهمة، وهي أن وظيفة اللغة هي التأثير في العالم وصناعته، وليست مجرد أداة للتفكير أو لوصف الأنشطة الإنسانية المختلفة.

وعلى العموم، فإن ما طرحه "أوستين" بخصوص أفعال الكلام فتح نقاشا واسعا انخرطت فيه ثلّة من الباحثين، من أمثال "سيرل"، و "غرايس"، و "فان ايمن" وغيرهم، مما عمق نظرية "أوستين" و جعلها أكثر اتساعا واستيعابا لجملة من القضايا المرتبطة بتداوليات أفعال الكلام.

وأن الجهد الذي بذله الفيلسوف "سيرل" في عرض الأفعال الكلامية هو عرض نموذجي للنظرية في عصرنا هذا، بوصفه يبيّن القيمة الفلسفية والتداولية للنظرية، ولاسيما تحليله للمكونات والأسس التصنيفية لعناصر القوى المتضمنة في القول، رغم الانتقادات التي وجهت إليه، والتي تدعو إلى إعادة النظر فيه على الرغم من استيفائه الثراء المفاهيمي، و الدقة التي تحراها، فإن عمله يحتاج إلى المراجعة والتعديل.

إن التداولية بمقولاتها و مفاهيمها الأساسية، كسياق الحال، و غرض الكلام، وإفادة السامع، و مراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب و مفهوم الأفعال الكلامية، يمكن أن تكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى مناحيه و مفتاحا من مفاتيح فهمه، بشرط أن نختبر مفاهيمها حتى نتأكد من كفايتها الوصفية و التفسيرية لدراسة ظواهر اللغة العربية.

الهوامش:

- 1- جورج يول، التداولية؟، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1431هـ/2010 م، ص81 .
 - 2- المرجع، ص ص:81-82 .
 - 3- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسان العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط1، 1429هـ/2008 م، ص ص:54-55 .
 - 4- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994 م، ص3.
 - 5- م ن، ص ن.
 - (*) - "جون لانشو أوستين" (John Langshaw Austin): منطقي و لساني بريطاني ولد سنة 1911 و توفي سنة 1960، له كتاب "كيف نصنع أشياء بالكلمات؟" طرح فيه نظريته في الأفعال الكلامية، حيث أن ثنائية الصدق و الكذب التي تحكم ما عُدَّ من قبيل الإخبار و تقرير حالة الأشياء في الكون، إنما هي ثنائية غير دقيقة، لذلك تجاوزها إلى ثنائية الإنشاء الأولي/الإنشاء الصريح.
 - 6- م ن، ص 4 .
 - 7- العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1432 هـ/ 2011 م، ص 77 .
 - 8- جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008 م، ص 5 .
 - 9- العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص ص:77-88.
-
-

-
-
- 10- المرجع نفسه، ص 79 .
- 11- نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997 م، ص 183 .
- 12- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 82 .
- 13- م ن، ص 83 .
- 14- م ن، ص ص: 83- 84 .
- 15- J. Austin, quant dire c'est faire , seuil, paris, pp :49- 50.
- 16- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 85 .
- 17- جورج يول، التداولية، ص ص: 82- 83 .
- 18- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د.ت، ص ص: 62- 63 .
- 19- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسان العربي، ص 60 .
- (**) - "جون روجرز سيرل" (John Rogeers Searle): فيلسوف أمريكي، ولد في دنفر بولاية كولورادو عام 1932، تلميذ "أوستين"، واحد من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون لتيار الفلسفة التحليلية التي طورها "أستين"، درّس الفلسفة في جامعة كاليفورنيا، و حاضر كأستاذ زائر في عدد كبير من الجامعات العالمية، من أشهر أعماله: أفعال الكلام، التعبير و المعنى، القصصية، العقول و الأدمغة و العلم، إعادة اكتشاف العقل، بناء الواقع الاجتماعي، لغز الشعور.
- 20- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص ص: 88- 89.
- 21- م ن، ص 90 .
- 22- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004 م، ص 126.
- 23- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009 م، ص 98 .
- 24- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص: 92، نقلا عن: Searle. J. R, speech acts, C.U.P, 1980, p :61 .
- 25 - J. R. Searle, les actes de langage, essai de philosophie du langage, collection savoir, Lettres, Herman, paris, 1996, p 60.
- 26- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص ص: 63- 66.
-
-